

تَحْسِينُ حَالِ الْفَلَّاحِ

بتنمية الثروة الحيوانية

للاستاذ عريان يوسف سعد

من بضعة أشهر كتبت كلمة عن طريقة عملية لتحسين حال الفلاح بتوزيع إناث المحول من البقر والجاموس على صغار الفلاحين حتى إذا مرت بها سنتان صارت جاموسا وبقرا يحورت الأرض ويدّر اللبن فيتحوّل عدد كبير من أولئك الفلاحين من عمال زراعيين إلى مزارعين صغار ويحوّل بيوتهم من الفقر والجوع إلى الشبع واليسار النسبي طبعاً .

وقد أشرت في تلك الكلمة إلى أن تلك الطريقة سينشأ عنها إذا عممت صناعات زراعية . وأحب الآن أن أفصل ما أحلته في تلك الكلمة عن تلك الصناعات وما تدر من ربح :

اللبن الذي يدّره البقر والجاموس في بلاد المنكة المصرية لا يزال حتى الآن يحوّل إلى زبد وجبن (قريش) بطرق قديمة ربما يرجع بها العهد إلى آلاف السنين . كل فلاحه تنصرف في ابن جاموسها أو بقرتها بنفسها كما رأت أمها وجدتها تفعلان ، لم تنتفع بحديث الآلات ولا حديث النظم الاقتصادية فهي لا تزال تترك اللبن ثلاثة أيام في أوعية مكشوفة من الفخار حتى يتخمر وتنفصل القشدة عن اللبن فتأخذ القشدة وتضربها بيدها تحولها إلى زبدة وأما اللبن الباقى فتضعه في القرن حتى ينفصل عنه قعم كبير من الماء ثم تعمله جبناً رخيصاً يكاد يباع بغير ثمن .

وبالبلاد تموج بخريجي المدارس الزراعية العالية والمتوسطة ومن أهم ما تعنى به تلك المدارس صناعة الألبان ولو أن الجاموس والبقر كثر عدده في كل قرية لأمكن لكل ثلاثة أو أربعة من خريجي تلك المدارس أن يؤلفوا شركة بسيطة فيشتروا اللبن ويحولوه إلى جبن وزبد بحديث الآلات وعلى أحدث النظريات وما من أحد يشك في فصل هذه الآلات والنظريات الحديثة على تلك المنتجات .

ومع أن هذا العمل من صميم ما تعنى به المدارس الزراعية فأننا نرى حتى الآن أن تجارة الزبدة في جميع أنحاء القطر لا تزال في أيدي نسوة من الفلاحات الجاهلات بدل أن تصبح في أيدي هؤلاء الفنيين الذين ما زالوا يتعلّقون بأهداب وظائف الحكومة مع ما حل بهذه الوظائف من مسخ . فكثير من هؤلاء الفنيين يسعى للحصول على وظيفة في مقايمة الدودة أو بتجوير الحدائق ب قدره خمسة جنيهات شهرياً ومستقبل لا يبشر صاحب هذه الوظيفة بأن سلة مهطاهل لأجل أكثر من ثمانية جنيهات في الشهر .

لو أن هؤلاء الشبان بعد أن تعلموا في المدارس الزراعية عادوا إلى قراهم فأنشأوا في كل قرية أو بضع قرى مصنعا صغيرا لصناعة الخبز والزبدة والآلات الحديدية لعاد عليهم بفائدة كبيرة ، وعلى أهل تلك القرى بنى من اليسار لا عهد لهم به ، وليس إنشاء هذا المصنع في حاجة إلى رأس مال ضخم ولا إلى مصاريف كبيرة نظرا لانخفاض الأجور في القرى وانخفاض سعر اللبن .

ولعل قلة الجاموس والبقرة في القرى الآن سبب في احجام الشبان الزراعيين عن التفكير في مثل هذا العمل ، فتوزيع العجول الإناث على صغار الفلاحين كفيلا في قليل من الزمن باغراء الشباب على توجيه نشاطهم إلى هذه الناحية بدل الوقوف صفوفا أمام باب الوظيفة ينتظرون الدور الذي ينبغي ، وإذا جاء فلا يجيء إلا بالفقر وصغر الشأن وإضاعة العمر في عمل لا يدر من الربح إلا ثمن القوت ، يفرح به الشاب الصغير اسر لأن حاجاته قليلة يفي المرتب الضئيل بها ، ولكنه متى تزوج وأصبح رب أسرة ولو تفت الأسرة من طفل واحد فإنه يصبح في عداد الفقراء بعد أن كان وهو شاب صغير يعتبر نفسه من الشباب الرافق الميسور .

إني أظن أنه خير للشبان الذين تخرجوا من مدارس الزراعة أن يستغلوا علمهم في صناعة الألبان بدل أن يتركوا تلك الصناعة يستغلها لجهلة من النسوة استغلالا يضيع ما فيها من ربح وفائدة ، ولكن شرط القيام بذلك العمل هو استعداد الشباب للكفاح وتحمل العيش في القرى النائية ، يشتري الممن من قريته والقرى المجاورة ويطلق العلم الذي تعلمه على العمل فإنه لا يكاد يقضى في ذلك العمل بعض الوقت حتى يبلغ كسبه أضعاف ما كان يطمع فيه من صغير الوظائف .

ولعل القارئ يقول ما شأن هذا وتحسين حال الملاح فإن ذلك معناه فتح باب العمل لخريجي المدارس الصناعية ، ولكن انتشار هؤلاء المتعلمين في الريف وانتشار مصانع منتجات الألبان سيجعل الفلاحة الفقيرة تنفع من لبن جاموسها أو بقرتها أضعاف ما تنفع به الآن .

غير أن هذه الصناعة لا ينتظر لها من الازدهار قسط كبير قبل أن يعم مشروع توزيع إناث البقر والجاموس على الفلاحين كما أسلفت في المقال السابق .

عريان سعد